قصص قصيرة

القناع

ابراهيم سعفان

إهداء ..

إلى الزهرتين المتفتحتين
في بستان الحياة ..
إلى ابنتيّ ..
هالة وشيرين

الببغاء[1]

حول الموقد جلسنا ... سرى الدفء في الضيف الغريب القادم من بطن الليل الشتائي ... تمطي ... تثاءب ... بانت ملامحه الثعبانية ... اقشعر بدني ... احسست بانقباض ... الثعبان يبتسم ... يخرج لسانه المشقوق ... يتكلم ... الثعبان يـزحـف نحـوي ... يلتـف علـى جسـدي ... اقـاومـه ... يقاومني ... اطعنه بالسكين ... اطعن نفسي ... انزف ... يزداد التفافا ... اطعنـه اطعـن نفسي ... انـزف ... اضرب بيدي في الهواء ... أصيح النجدة ... تأتي زوجتي ... أصيح الثعبان اثنين ... يزحف الاخر إلى زوجتي ... يلتف على جسـدهـا ... تستسلـم في حـذر ... اصيـح ... النجـــدة ... النجدة ... لافائدة ... راحت زوجتي في حذرها الغيبوبي ... دمي ينزف ... تخور قواي ... يفح الثعبان في اذني كلمة ... نكتة ... اضحك ... تجلجل الضحكة ... زوجتي في حذرها مستسلمة ... في الصباح حكيت لـزوجتـي ... ضحكتْ ... قالت : احلام ... ضحكت زوجتـي ... ضحكت ... جلجـت

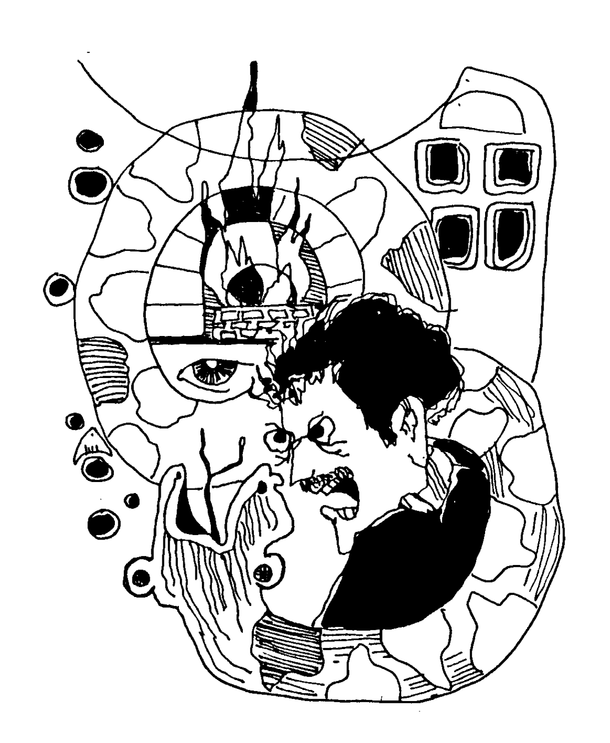
الضحكة ... هزني الضيف متسائلا عن سبب الضحك ... من الحلم عدت ... قلت لاشيء ... هل أعجبتك قصصي ... أي قصص ... التي كنت أحكيها لك الآن ... لا تؤاخذني ... لم أسمع منها شيئاً ... لماذا تضحك إذن؟ ... تذكرت شيئا قديما ... مددت يدي للضيف بكوب الشاي وسألته: من اين جئت؟ من البلاد البعيدة. ماذا تعمل؟ - رحالة ... ماذا تفيد من ذلك؟ - مغامرات ... وحكايات ... وأقتل الملل ... و ... ماذا؟ - واشياء اخرى لا تهمك. العينان الثعبانيتان تبرقان في الضوء الخافت الذي يلف الحجرة الصغيرة ... تتحرك الشفتان ويخرج اللسان المشقوق ... يحكي بعضا من مغامراته ... ويقدم العابا سحرية ... مثيرة مشوقة ... تنضم بقية اسرتي إلى المجلس ... تعجب زوجتي بحكاياته ... عينا الثعبان تبرقان ... الانقباض يعتصر قلبي ... اضحك لاخفي هذا الشعور ... الضيف يستمر في حكاياته ... أخرج ببغاء صغيراً من حقيبته ... أثارنا ... بهرنا ... لم ننم في تلك الليلة حتى الصباح ... وكانت ليلة ...

ومضت بعدها ليلتان قضيناهما في بحر الحكايات والالعاب السحرية وتقليد الببغاء ... انتظرت ان يرحل الضيف ... لم يرحل ... تلمس الاعذار ... ضاق الصدر به ... افراد اسرتي سعداء به ... لا يفارقونه ... حدثت زوجتي بضيقي ... اعترضت ... انه رجل طيب ... ولا يمثل عبئا

علينا ... انه لا يغادر حجرته ... انت دائما شكاك ... صدقت كلامها ... تركته لم احادثه في شيء ... اخذ يتملقني ... اعطاني الببغاء ... رحت اجلس عصر كل يوم امام بيتي ... احكي للاصدقاء حكاياته ... والببغاء يقلدني ... وهم في الدهشة غارقون ... كل يوم يزداد الاصدقاء ... وكانوا من قبل قلة ... لقد اصبحت مهما بالنسبة لهم ... الضيف داخل البيت لم يشأ ان يراه احد ... انا في كل عصر اعقد مجلس الاصدقاء احكي الحكايات ... والعب الالعاب ... والببغاء يقلدني والناس حولي سعداء ... ذاع صيتي في القرى المجاورة ... اخذوا يدعونني ... بدأت اتغيب عن بيتي ... سهوت عن الضيف ... تكرر غيابي ... طال غيابي ليالي واياما ... عدت ذات مرة الى البيت محملا بالهدايا . وجدت الصغار الثلاثة امام البيت يبكون ـ ماذا حدث ـ امنا ذهبت مع الضيف وتركتنا ـ إلى اين؟ ـ لم تخبرنا ـ اسكتوا ... بعد قليل ستأتي ... دخلت البيت وضعت الهدايا ... وجاء العصر ... جلست امام البيت ...

وجاء الاصدقاء ... ورحت احكي الحكايات ... والببغاء يضحك ... ويضحك ... أنهره ... يضحك ... مر العصر وبعده عصور ولم تحضر زوجتي ... وانا احكي حكاياته ... والببغاء يضحك ... صرخت في الناس ... زوجتي ضاعت ... الببغاء يضحك ... يتركني هو ايضا ... الناس لا يهتمون ...

لا يبالون ... في حكاياتي غارقون ... اصرخ ... لا يبالون ... ويحكون ويحكون ... وانا امام البيت اصرخ ... احكي حكاياته ... والعب العابه ... اقلد ببغاءه ... الكل يحكي ... في البيوت .. في الطرقات ... في المكاتب ... وعندما يعودون ... يجدون شيئا قد ضاع وفي الحكايات غارقون ... وسرت العدوى في القرى المجاورة ... وتشرق شمس وتغرب شمس ... وانا امام المنزل احكي الحكايات ... واقلد الببغاء وحدي.





نزلت من الاتوبيس على أول الطريق الزراعي المؤدي إلى قريتنا .. جلت بنظرة سريعة بين الواقفين على المحطة بحثا عنه .. لم أجده .. دققت النظر ثانية ، قد يكون مختفيا وراء اتوبيس أو جالسا داخل مقهى .. لم أجده .. حملت حقيبتي وسرت وئيداً .. مؤملا أن يلحق بي .. قطعت نصف الطريق .. لم يأت ... أحسست بضيق ... انفجر قلبي ... خير يارب ... هذه أول مرة يتخلف فيها عن انتظاري .. انه يعرف موعدي كل شهر أكثر من أي فرد في اسرتي .. لا ينساه أبداً .. ولا يشغله عنه أي شيء مهما كان .. أخرجت علبة السجائر ... أشعلت واحدة ... تشاغلت عن وساوسي ووحدة الطريق بالنظر إلى حقول القطن الناصعة البياض ...

نفسه صافية وبيضاء مثل القطن .. أرسلت نظري بعيداً ، قد أراه قادما ... لا فائدة ... قلبي يدمي ... اقتربت من القرية ... قلبي تزداد دقاته ... يسيطر على شعور مبهم ... اللهم اجعله خير .. ربنا يستر ، عله لم يصب بسوء .. عل أحد

من الاسرة لم يصب بسوء.

قابلني بعض الصبية .. صاحوا عندما رأوني .. عم حب الله مات .. وقفت مكاني .. صرخت .. كذابون .. كذابون .. أفقت من الصدمة .. قلت نوع من التهريج الصبياني معي عندما أسألهم عنه .. سرت وئيداً ... علامات استفهام كبيرة تلتهمني ... هل صحيح؟ هل ممكن ..؟ ولماذا لا .. انـي اعرف نياتهم نحوه .. خير يارب .. قد يكون تهريجاً .. دخلت القرية .. قابلني بعض المعارف .. البقية في حياتك .. حب الله مات .. الخبر صحيح .. عملوها .. البقية في حياتك .. يضحكون الجميع يضحكون على غير عادتهم ...

قال أحدهم: ارتحنا منه .. ضربته .. آه يا بلد .. كان يعرفكم جميعا من داخلكم .. رأيت نظرات الشماتة .. البسمات الساخرة .. سأظل وحيدا .. اني أكرهكم، مثلما تكرهونه .. كان لا يكره أحداً ... النقطة المضيئة في قريتنا .. لذلك احببته .. رفضتهم جميعا .. بسيط .. صريح .. أسرعت الخطا إلى منزلي لأعرف الحقيقة من أبي .. صحت عندما دخلت ..

- عملتوها في عم حب الله.
- هدى نفسك يا ابني .. حا أقول لك كل حاجة.
- قتلتوه .. دمه في رقابتكم كلكم.
- ما تقتلش .. كان سهران معانا في دوار العمدة ... والسهرة طالت فاستأذنت وسبتهم .. في الفجر ما سمعناش

صوته ولا دقات عصايته على الابواب زي العادة .. ما ظهرش طول النهار، من يومها وهو ما ظهرش .

ـ ارتحتم طبعا ... تخلصتم منه .. علشان ما يقلقش حد في صلاة الفجر ..

ـ ياابني ريح نفسك .. انت عجبك فيه ايه .. راجل عبيط وبيخرف ووشه شؤم ..

ـ رغم كلامكم ده .. كان يخوفكم لما يتكلم ببساطة .. كنتم تجروا وراه وتشتموه علشان بيقول الحق .. مسكين .. ما يعرفش يخبي حاجة .. يقول اللي عايز يقوله بطريقته .. علشان كده حبيته .. كنت فاهمه كويس .. إنما أنتم ما كنتوش عايزين تفهموه .. استأذنت من والدي .. دخلت غرفتي .. استلقيت على اول كرسي .. صحيح اختفى .. ام قتلوه .. عم حب الله .. نقطة الطهارة في قريتنا .. لا أحد يعرف عمره .. سألت والدي مرة قال انه كبر رآه كما هو الآن .. لم يتغير .. حديثه حديث الطفل .. لا يطلب شيئاً من أحد ... لا يدخل بيت أحد .. كبار القرية يكرهونه لأنه يقول لهم الحقيقة .. العمدة مرة عمل ليلة لأهل الله .. واجتمعت القرية وامتلأت البطون .. وانطلقت الالسنة بكلمات المديح المزيفة .. كان عم حب الله موجوداً .. لم يأكل لقمة واحدة .. سأله العمدة ... مبسوط ياحب الله ... نظر اليه ببراءة وأجاب .. مظاهر .. اللقمة الطاهرة .. ربنا رب قلوب ..

هكذا كانت طريقته في الكلام .. كلماته متناثرة .. مبهمة ... ضحك المنافقون ... ضربه العمدة على قفاه ... جرى من أمامه مبتسما .. كانت الابتسامة لا تفارق وجهه ... غلى الدم في عروقي وقتها .. كتمت غيظي لأنه العمدة .. آه ياعم حب الله ... أريدك الآن ... أشعر بالوحدة ... لم يفهمك أحد ..

الناس السذج قالوا عنك عبيط ... كان يقضي ليله متجولا في حواري القرية ... أنا صديقه الوحيد لا أعرف متى ينام ولا اين ينام .. كانوا يتشاءمون منه .. لأن هوايته رفع البيرق على النعش .. ويسير تحته ويسير في حواري القرية .. يدق عليها ويصيح .. أكرمنا يارب .. كل من يراه يشتمه .. الصبية تطارده بالحجارة .. ينظر لهم ويضحك .. الرجال .. النساء يطاردونه بالحجارة ايضا .. كان ينظر لهم ويضحك .. كنت أدافع عنه .. أشتبك معهم جميعا في معارك .. ورغم هذا كنت أحس بأنهم يخافون منه .. يرتعدون عندما يرونه . كنت أحس بأنهم يريدون التخلص منه .. عجبت عم حب الله .. له تصرفات عجيبة مع أهل القرية .. عزيزة بنت شيخ الخفراء .. كل أهل القرية يحبونها ويطلبون رضاها .. كان عندما يراها يشيح بوجهه عنها .. ويبتعد عن طريقها .. لا يكلمها .. كانت ترتعد عندما تراه ... تنادي عليه لا يرد ..

يصيح ... الستار موجود ... الستار موجود .. بينما سعدية اليتيمة التي يجمع اهل القرية على سوء سلوكها ..

ويتجنبوها .. سعدية مرحة وخفيفة وتضحك مع كل من يقابلها .. يقولون عنها حكايات كثيرة ... عندما يقابلها في الطريق يقبل عليها ويضاحكها وكان يصيح .. ربك موجود .. للصبر حدود .. الحكم من فوق .. وينظر الى السماء .. عم حب الله عجيب .. كنت أحس بأنه يعرف أهل القرية واحدا واحدا .. يعرف عنهم كل شيء .. ولا يخفى عنهم شيئاً .. كانوا يعتبرونه عبيطاً .. كانوا يحبونه في صمته .. يكرهونه عندما يتحدث .. تآمروا عليه .. قتلوك يا عم حب الله .. أين أنت الآن انا محتاج اليك .. قتلوك ليستريحوا منك .. ليتخلصوا من القلق والخوف .. أين انت الان ياعم حب الله .. دخل والدي الحجرة مسرعاً ..

- مالك ياسعيد بتصرخ ليه .. ما تعملش في نفسك كدة ،، حايجيلك من ده كله ايه ..

- مش فاهمينه .. راح عم حب الله .

- قوم يا ابني نام شوية ترتاح ..

أطفأت المصباح .. تمددت على السرير بملابسي .. وقبل الفجر .. سمعت صوتا ينادي .. سعيد .. وسمعت دق على بابنا ، وعلى الابواب الاخرى كعادته .. ينادي سعيد .. انه هو .. صوته .. ودقاته المعروفة على أبواب القرية وقت الفجر .. لقد عاد عم حب الله .. قفزت مسرعا .. فتحت الشباك .. لم أر أحداً .. ناديت .. عم حب الله .. رأيت والدي

يطل برأسه من الباب .. فتحت الابواب الاخرى وأطلّت منها رؤوس .. ناديت .. عم حب الله ... الصوت يتردد في صمت القرية .. دقاته تسمع من بعيد .. قال والدي:

هذه أول مرة نسمعه فيها منذ اختفى .. الصوت يتردد .. دقاته تسمع من بعيد ..



القناع

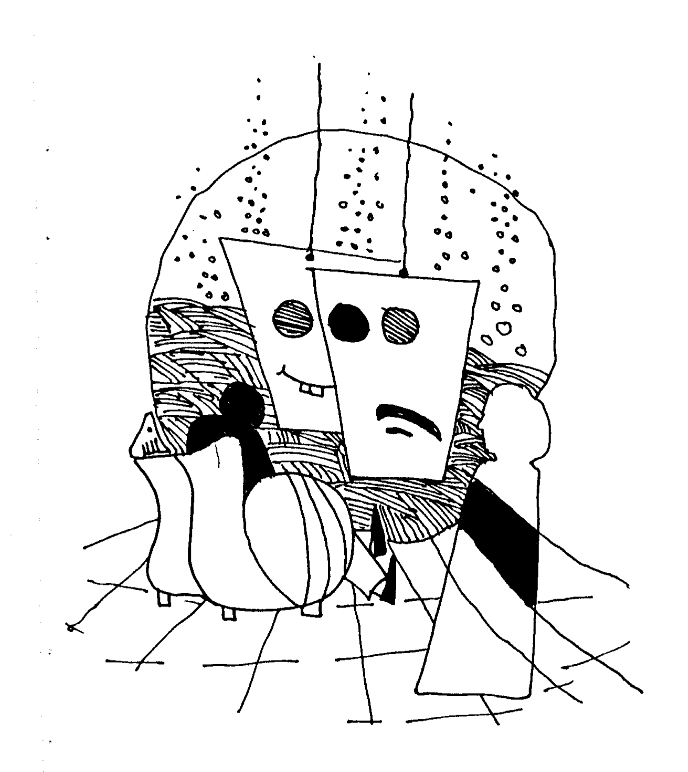
الوجه المتورد المنتفخ القابع خلف المكتب يطاردني ... ذنبي أني أتطهر ... جئت إليه أخلع جلدي المتلون ... وألقى وجهي الممسوخ ... يتهددني بالنفي ... صرخت في وجهه ... حتى لو ذهبت الى اخر العالم ... كفى ما فعلناه ... حرام كم ضيعت من ارزاق ...

عينا الوجه المتورد المرسوم على حائط حجرتي الباهت تبرقان ... ينفتح فمه كالبركان ... كلماته النارية تحرقني ... صرخت لابد ان اخلع جلدي المتلون ... اضرب الحائط بيدي ... الوجه المتورد الساخر مازال مرسوما على الحائط ... يفح في خبث ... أين تذهب مني؟ ... أنا أعرفك جيدا ... لا تستطيع الابتعاد عني ... قلت: هذا وهم ... لا اريد ان ارى وجهك ... كفى ما فعلناه بالآخرين ... قال: الوهم ما أنت فيه ... أنا اعرفك جيدا ... أنا اجري في عروقك ... انت تريد حقا ... ولكنك لا تستطيع أن تنفذ ما تريد ... قلت: الأمر كله قصاصة صغيرة اخط عليها بضع كلمات وينتهي كل شيء ... وأتطهر منك.

ابتسم الوجه المرسوم على الحائط ساخرا ... حاول ... وسنرى .

تمددت على الكرسي القديم ... اغمضت عيني ... ورحت بعيدا بعيدا ... أبحث عن وجهي الذي ضاع في متاهات الظلمة ... كرهت الوجه الممسوخ المصفوع دائما ... كرهت الركوع والانكسار والتمسح بكرسي العرش الذي انظفه بلساني المشقوق كل يوم ... كرهت جمع فتات الكلمات وفتات الطعام ... ابحث عن وجهي الذي نسيته منذ زمن حتى لا يعود طعم المر إلى فم الاولاد ... رحت بعيدا بعيدا ... أبحث عن الشاطر حسن ذي السيف المرفوع من أجل ست الحسن ... إني اسمع صوتا ... إني اعرف هذا الصوت ... ملعون هذا الصوت ... الذي علمني اول درس ... ان اتلقى الصفع ... لكي اكسب لقمة العيش ... مرفوض الآن هذا الدرس ... كفي ما فعلت ... فليعد المر إلى فم الاولاد يأتيه صوت الاولاد الباكي ... آه ... هذا هو كسر الوسط ... يأتيه الصوت ... ألم أقل لك ... فكر في المر الفائح من فم الاولاد ... ياجبال الصبر ... معذرة يا شاطر حسن ... لم اقو على حمل السيف ... معذرة ياشاطر لأنك لم تذق طعم المر ...

صوت صراخ طفل في الخارج ... ينتفض الأب من غفوته ... ما هذا الذي رأيت ... يأتيه الطفل ... بابا : اريد لبن العصفور مثل الحدوتة ... ربت على كتف الطفل ... وهمس ... معذرة ياشاطر حسن ... لقد سمعت الطفل ... وتمتم ... أنا قادم إليك ياهذا الوجه المتورد ... وأمسك الاب بالقلم وكتب ... سيدي معذرة ...

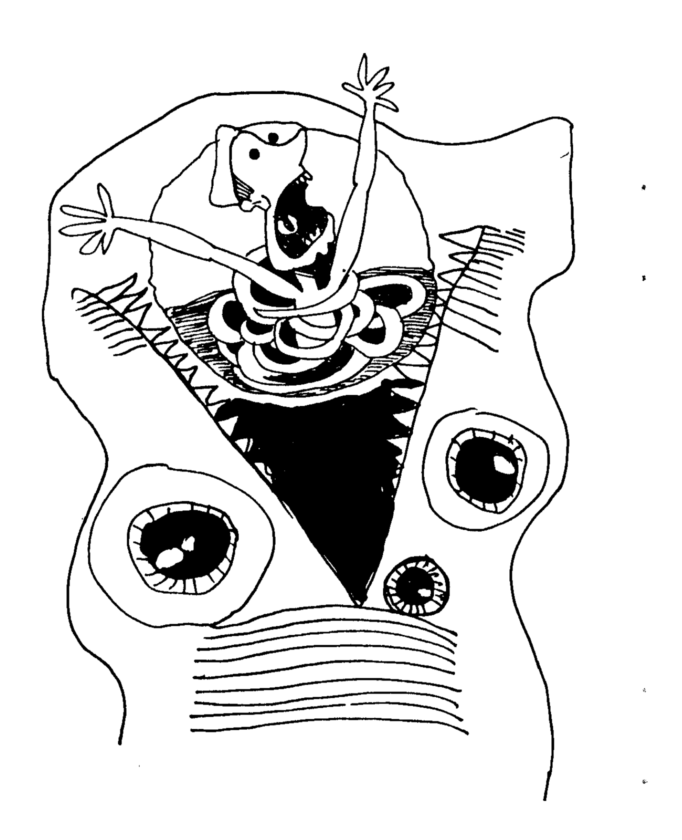




انفجر البركان ... تناثرت اشلاء الكلمات ... تشققت الارض ... الاف الافواه الكهفية ... ابتلعـت الافـواه الكلمـات ... ابحـرت ... ابحث عنها ... اغوص ... اغوص ... اتحول ايضا اشلاء التصق بجدار الرحم الكهفي ... اتشبث حتى لا اذوب ... الاف الايدي نبتـت ... الاف الاقـدام ... لـم تنجـح في النجـاة ... اذوب ... اذوب ... اتحول إلى بقعة حمراء ... في التيه اللانهائي ... ابحث عن نجمة الفجر ... النجوم يلفها الغمام ... اصرخ ... تتسع البقعة الحمراء الصفراء ... تغرق التيه اللانهائي ... يهتز الرحم الكهفي . ينقبض ينبسط ... اصرخ ... لا ... لا ... لا ... اريد ... ينقبض وينبسط ... تترجرج البقعة الحمراء الصفـراء ... تتسـع ... تغـرق التيـه اللانهـائـي ... الرحـم الكهفـي يـرتعش ... اصرخ ... لا ... لابد ... لماذا ؟ انت كثير السؤال ـ لا معنى للكلمات ـ الكلمة ... شجرة ـ كانت ـ لا مازالت ... انت لم تفهم ... انا مثل الناس ـ الناس لم تفهم الدرس الاول ـ ولذلك عدت اليك . للامان ... انهم

يريدونك ... لا اريدهم ... كم عذبوني ... الرحم الكهفي ينقبض ... تنقبض البقعة الحمراء الصفراء ... ينبسط الرحم الكهفي ... تتمدد البقعة الحمراء الصفراء ... اشلاء الكلمات ... آه ... تلك الكلمات ... فجرت البركان ... تبحر بلا اشرعة ... ضد التيار ... احاول جمع الاشلاء ... تسقط كل المحاولات ... لابد ان اجمعها ... لا افهم ... قالت ... لن تفهم سأحاول ... عندما تحاول ... ينقبض الرحم الكهفي ... اختنق ... اصرخ ... تضيع الصرخات ... في اعماق الاعماق ... الالف يد تتشبث ... يزداد الانقباض ... الالف يد تتشبث ... اصرخ ... في اعماق الاعماق ... تضيع ... تأتيني صرخات من عالم فوقي ... ترجوني ... تحذرني ... ينقبض الرحم الكهفي ... الصوت يحذرني ... تشبث ... تشبث ... يزداد الانقباض ... اصرخ ... احذر احذر ...

الالف يد تتشبث. البقعة الحمراء الصفراء تتجمع ... تتحدد ... ينقبض الرحم الكهفي ... الصرخات الاتية من بعيد ... تتوسل تركع ... نريدك ... ارفضكم ... يبكون ... يبكون ... اشلاء الكلمات المبحرة تعود ... تتجمع ... تتكون الكلمات تمتزج بالبقعة الصفراء ... يخمد البركان ... تنغلق الافواه تروح الصرخات ... يخمد البركان ... تروح الصرخات ... الاظافر المتشنجة ترتخي ... تخرج من اعماق الاعماق الاوراق ... مكتوبا عليها الكلمات ... ينداح الغمام ... تلوح نجمة الفجر في الافق البعيد .



أنا والطفل والقطة

الحب الذي فات ... مات ... لا ... لم يمت بل بين الحنايا كامن ... تثيره الذكريات كلما تهيج . دق جرس التليفون جاء صوت من بعيد ... صوت موسيقى : ماذا تفعل ؟

ـ لا شيء ...

وحيد في الحجرة مع الماضي والحاضر والمستقبل .

ـ أنا لا حاضر لي ولا مستقبل لاني مع الماضي ... ولكن ... هذا عذاب ... العذاب سعادة ـ مازلت كما انت ... كما عرفتك يا الهي انها هي ... الصوت صوتها ... وكلماتها نفس كلماتها ... لكن كيف يحدث هذا والسنوات والمسافات تفصل بيننا ... والأمل مقطوع في العودة يا الهي ... هل هي نفسها .

ـ نعم يا ... ماذا ؟ لست انا هي . ولكنك تتحدثين مثلما كانت تتحدث معي عندما ترى اليأس ينهشني ... لقد كنت ... لا تكمل ... اعرف ماذا ستقول ... مازلت كما انت لم تتغير ..

ـ ليس ما انت فيه هو النهاية ... كما تتصور ... أو تتوهم . من أنتِ؟ أنكِ هي ... إنها وراء الغمام . ولكنها وعدتني أن تعود ... لن تتركني وحيدا ولكن لم تعد ... ومن يومها وانا انتظر ... عندك قصر نظر ... غيرها كثيرون ـ اسكتي ... اسكتي ... من فضلك ... اغلقي التليفون ... او سأغلقه انا ... يغيب الصوت الموسيقي ... بعيدا ... بعيدا .

وضعت سماعة التليفون تحركت بالكرسي الذي لم افارقه منذ سنوات ... لا ادري لماذا؟ ولكن اوامر الاطباء لا اعرف لماذا؟ اشعر باني استطيع السير ، اقول لهم مرارا ... ولكنهم يصرون على بقائي رهن الكرسي ذي العجلات ، لا اخفيكم سرا غافلت من في البيت مرارا وحاولت ان اترك الكرسي مجرد محاولة ، العجيب انني لم استطع رغم احساسي بانني سليم اه ... تذكرت تحركت لحظة ... متى ... متي ... تذكرت عندما رأيت الطفل الصغير يحبو نحوي مبتسما ... يداعبني احاول الاقتراب منه ... الطفل يبكي ... القطة الصغيرة تخربشه باظافرها ... تدغدغه باسنانها احاول الدفاع عنه ... لا استطيع ... الطفل يبكي ... القطة تكرر محاولاتها ... في نظرها انها تداعبه ... احاول انقاذه ... اتحرك ...

ولكن يجري الطفل بعيدا ... فشلت المحاولة ... تجري القطة خلفه ... ينظر إليّ مبتسما ... انا لا ابتسم ... ماتت البسمات منذ زمن ... انحط محطما ... انظر إلى الصورة ... صورتها ... المعلقة على الحائط ... اهمس انت السبب ... انت الماضي ... انت كل

شيء ... لا ارى ... لا اسمع احدا ... نصحني الاطباء ان انسى ... لكي اشفى ... لابد ان انسى ... ولكني ارفض ... تركوني للزمن ... تصوري ... يقولون الزمن ... مخطئون ... مخطئون ... ضاع الزمن بالنسبة لي ... قالوا ستظل رهين هذا الكرسي ... قلت ... هذا ما اتمناه ... الصوت الدافيء، يأتي من كهوف اعماقي، يملأ الحجرة ... الصورة تملأ الحائط ... تحتويني ... أما زلت تفكر فيَّ .. تعيش في ماضينا .

ـ كيف انساك ... قلت لك في تلك الليلة ... انني ذاهبة ولن اعود ... ساعتها بكيت ... واردت ان تأتي معي ... ولكن موعدك لم يأت ... يجب ان تنسى ... لا استطيع ـ انت تسجن نفسك ـ ما أحلى هذا السجن معك .

يدق جرس التليفون ... يأتي الصوت الموسيقى صوتها ... قلت بلهفة ـ ها انت تعودين كما وعدتيني متى اقابلك . ترن ضحكاتها في اذني ... الصوت القادم من كهوف اعماقي يخفت ... الصورة المعلقة على الحائط تعود كما كانت ... قلت لماذا تضحكين ... مازلت كما انت ... تعيش مع الاوهام ... لست انا هي ... ما اسمك ـ ليس مهما ـ اريد ان اعرف اسمك ـ عندما تصبح حيا ـ ماذا تريدين مني ـ اريدك ـ لا انفعك ... فانا ملكها ـ بل ملكي انا ... وسوف ترى ـ انا لست ملكا لاحد ... الا هي . ـ يكفي هذا الان ... مادمت تحاورت معي ... ضحكة طويلة تنساب عبر اسلاك التليفون ... اصيح بعصبية ـ انت مؤامرة ... اعرفهم ... انهم

يكرهونني يكرهونها ... كانت - مازلت - اما زلت تقول كانت ... يغيب الصوت ... يتلاشى ... يلفها المجهول ... يرتمي النظر على الحائط ... على الصورة ... أهيم في نظرات عينيها ... اهمس ... الكل يحاصرني ... يريدون التفريق بيننا انا فعلا بعيدة عنك يريدون ان يسلبوا ذكرياتي قلت لك مرارا الماضي قبر يدفن فيه الانسان نفسه، الانسان الضعيف ... الماضي يأكل الحاضر والمستقبل ... انظر إلى حالك ... اني ارثي لك ... الحياة اقوى ... الا يسعدك حالي الذي وصلت اليه من اجلك - لا يسعدني ... يأتي الطفل يحبو عند قدمي ..

ينظر إليّ ... القطة بجواره ... صغيرة مثله ... تداعبه ... تداعبني باظافرها ... باسنانها ... الطفل يبتسم يرفع يديه ... يحاول الوقوف ... يتشبث بالكرسي ... القطه تقلده ... تقفز هي على حجري تتشممني ... تهمس في اذني ... اضحك ... بعدما نسيت الضحك ... وحيدا كنت في حجرتي تعود القطة تهمس في اذني ... تقول شيئا ... افهمه ... من لمساتها ... من انفاسها ... اضحك تقفز على كتفي تلعب في شعري ... الطفل يضحك ... يكرر المحاولة لا ييأس ... يجذبني من ثوبي ينظر إلى في تحد ... يرفض الاستسلام ... امد يدي اليه ... يرفض في عناد ... يصر ان يصعد اليّ دون مساعدتي ... يصعد ... يداعبني ... منذ زمن لم اداعبه ... لم اشعر به ... لم انظر الى عينيه ... كم هما جميلتان صافيتان ... هادئتان ... نسيت نفسي معهما ... الدماء تجري في

عروقي ... اداعبهما ... رمقت الصورة لم اجدها ... اختفت ... لا اثر لها . يدق جرس التليفون ... الصوت الموسيقي يأتي واضحا - اهلا يا ... ضحكتْ في نشوة ... ضحكتُ انا ايضا ... اختلطت ضحكاتنا ... تحادثنا بالضحكات ... قالت: موعدنا اليوم - نعم اليوم ... مع الغروب - لا مع الشروق - موافق ... الطفل يطوقني بذراعيه ... القطة تهمس في اذني ... قلت ... فهمت ... مالم افهمه من الاطباء.

غدا الموعد ...



لا يا صغيرتي

ابعدي عني ... انت لا تعرفينني ... وانا اخاف عليك مني ... انا اعرفك جيدا ... لا اعتقد ... انت مازلت صغيرة ... لا يقوى قلبك على صد تيار الهوى ... قالت بعصبية: قلت لك ... اني اعرف عنك كل شيء ... فنان ... بوهيمي ... اعرف كل مغامراتك العلنية والسرية ... اني احب مغامراتك. تريدين ان تكوني احدى مغامراتي نظرت اليه باغراء:

ـ الا اعجبك ـ جحظت عيناه دهشة ... وجمدت الكلمات على شفتيه ... لماذا تندهش ـ لجرأتك ـ أنا واحدة من الجيل ـ آه ... ذلك الجيل الغارق في بئر الثرثرة الحضارية.

اشعل سيجارته ... وسحب افكاره وراء حلقات الدخان الزرقاء ... يقلب الامر من جميع الوجوه لا بأس. ستكون ليلة مثيرة ... الفتاة جميلة ... وردة متفتحة ... لحن جميل ملهم لعمل

فني جديد ... ولكن ... هل فقدت عقلي ... ومات ضميري ... انها صغيرة ... في عمر ابنة اختي ما لك ايها المغامر ... اني لم اترك واحدة ... ولكن .. احذف هذه من السطور ... الفتاة جميلة ... وتعرض نفسها ... هائمة بك ... تريدك ... لابأس ... لأرى النهاية معها .

تلاشت سحابات الدخان في الفضاء اللانهائي ... جاءه صوتها الدافيء ... إلى أين ذهبت ـ بعيدإلى بعيد ـ بعيد عني ـ لا بل معك ... في عينيك ... في غمازات وجهك ... ـ جمالك لا يقاوم ـ خاصة انت ... لانك خبير بالجمال ارتعشت يده لاول مرة ... وهي تمسك بها هامسة بحنان مثير ... ماذا بك؟ لا شيء ... لا ادري ... ماذا اصباني؟ سعدت الفتاة لارتعاشة يده ... ركزت هجومها عليه ... عرفت بحاسة الانثي ان حصونه تتهاوى امام اسلحتها الفتاكة ... النظرات ... الهمسات ... اللمسات ... سحب يده بهدوء ... واطفأ سيجارته ... واستأذنت ... تشبثت بيده ولم تتركه حتى اتفقا على موعد اللقاء في مرسمه الليلة . واهلك ـ كل في واد ... لا اشغل تفكيرهم .

عاد إلى مرسمه ... امسك ريشته ليكمل لوحة لم يستطع ان يكملها منذ فترة طويلة ... كان يبحث عن الخط الفاصل بين البراءة والشقاوة .. و ... وجده في تلك الفتاة ... انتهى من اللوحة ... استلقى على سريره ... يتفحص لوحاته المعلقة على الحائط والملقاة على الارض ... اللوحات تتابع ... لكل لوحة قصة ... وقعت عيناه على صورة ابنة اخته الموضوعة في ركن

بعيد ... تنهد ... انها مثلك ... في عمرك ... كم تمنيت ان تكون لي ابنه مثلك ... مثلها ... ولكن لا وقت للزواج ... شعور غريب ينتابني ... شعور فطري رباني ... اردت وانا معها ان اضعها بين ضلوعي لاحميها ... هذا هو سر ارتعاشة يدي ... لم تفهم السبب الحقيقي لهذه الارتعاشة ... حسبته الصغيرة الحمقاء اني اضعف أمامها ... جاءه الصوت الغريب يدق في رأسه ... مالك انت ... انها هي التي تريدك ... لاذنب لك - انها صغيرة حمقاء ... انها مثل ابنتي التي لم انجبها بعد ... ابنة احلامي التائهة في المجهول ..

- يا مجنون ... لا تضيع الفرصة ... كلهن عندك قصة جديدة ... لوحة جديدة ... لا ... لن يحدث ... لن الوث هذه البراءة ... قفز مسرعا كمن لدغه ثعبان ... انتزع ورقة من كراسته ... كتب فيها كلمات ... ارتدى جاكتته وغادر المرسم ... اعطى الورقة للبواب ... وافهمه المطلوب ... جاءت الفتاة في الموعد المحدد ... دقت جرس الباب ... يرتد اليها صداه باردا فترتعش اعماقها ... تضرب الجرس ثانية ... يرتد اليها صداه باردا فترتعش اعماقها ... تضرب الجرس بعصبية . لاحد ... لاحد سألت البواب ... انت الانسة ... نعم انا - ترك لك الاستاذ هذه الورقة فتحتها ... قرأت كلماته : لا ... ياصغيرتي ... لا ... ليست ارتعاشتي ضعفا خوفا منك ... ولكن خوفا عليك يا ابنتي ... وكفي ..



وعاد الأمل

قالت الاخت الكبيرة بعصبية :

ـ بكرة كتب كتابك على الدكتور حمدي .. أما سي فتحي بتاعك تنسيه خالص . انت عارفه انه كان هنا دلوقت وأنا طردته .. ويكون في علمك يا الدكتور حمدي يامفيش جواز ..

قالت الأخت الصغيرة :

ـ حرام عليك تحرميني من فتحي .. ده أملي الوحيد اللي حايريحني من العذاب اللي شايفاه معاك .. دانت اختي الكبيرة وكان لازم تكوني حنينة علي بعد موت بابا وماما وتسبيك من حقدك والحاجات اللي كنت تعمليها معايا .. لكن بالعكس .

ـ هي كلمة واحدة .. انا ضيعت عمري علشانك انت وماما بعد موت بابا علشان اصرف على البيت وأربيك .

لاحت على شفتي الأخت الصغيرة ظل ابتسامة متعبة :

بطلي حجج .. ما تحوليش تهربي من الحقيقة .. انت عارفة كويس ليه قاعدة لحد دلوقت من غير جواز .. وانا

ذنبي ايه .. عايزة تحرميني من حبيبي .. علشان أقعد جانبك وتعذبيني زي ما انت عايزة .. حرام عليك .. هي ده وصية ماما .. استحملتك كتير .. لكن دي فرصتي الاخيرة .

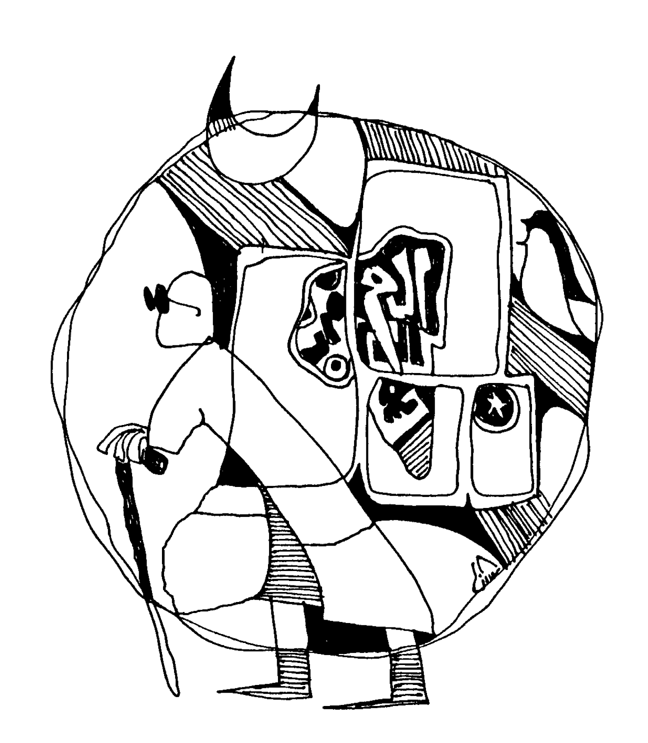
انصرفت سعاد إلى حجرتها وارتمت على السرير ... أخرجت من صدرها آخر خطاب من فتحي .. حبيبتي .. خلقنا لنعيش معا .. تلاقت أرواحنا على البعد ...

وتناغت قلوبنا قبل اللقاء .. وارتسمت صورنا في خيالنا وحبنا لم يزل بعد جنين في رحم الزمن .. حبنا ترعاه السماء .. حبيبتي لن نفترق ابداً ...

لقد صارعت الموت في ميدان القتال .. في سيناء .. وانتصرت عليه من أجلك انت .. كنت اشعر اني سأعود اليك .. وعدت .. لن نفترق أبداً .. سأقف بجانبك ..

وضعت سعاد الخطاب بجانبها .. لن نفترق يافتحي .. الحب الحقيقي لا يأتي الا مرة واحدة .. لحظة واحدة تمر على الانسان إما أن يحصل على ما يريد وإما يفقده إلى الابد .. غدا كتب الكتاب .. لابد ان افعل شيئاً لأخرج من سجنها .. من دائرة حقدها الاسود .. من هذا العذاب الذي اعيش فيه .. فرصة لها لتمارس اذلالي ... لا تنظري من الشباك .. لا تزوري صديقاتك .. كنت أرى النشوة في عينيها عندما ترى الفرحة تموت في عيني .. وتنطفىء البسمة من على شفتي .. عمرها الآن خمسة وثلاثون عاما ولم تتزوج ..

ليس ذنبي .. هي السبب .. الفرصة الوحيدة التي لاحت لها للزواج اضاعتها بعنادها وعصبيتها وأنانيتها وحبها للسيطرة .. تصرفاتها فيها خشونة الرجال ... كانت تلعب دائما مع الصبيان .. لقد عانت أمي منها الكثير من تصرفاتها الرذيلة .. كانت تشعرنا دائما بأنها صاحبة فضل علينا لأنها تصرف على البيت .. مسكينة ماما .. كانت طيبة وعلى نيتها .. لا تملك الا الصمت .. وعندما أنظر في عينيها اقرأ كل شيء .. أغمضت سعاد عينيها .. أمها تنظر إليها بحنان .. سعاد .. انت أصبحت كبيرة .. اختاري الطريق الصحيح فتحي ابن حلال .. لا تخضعي لأختك .. لا تضيعي فرصتك الوحيدة .. قومي ياسعاد .. قومي .. تنهض سعاد فزعة .. خير يارب .. ماما يا حبيبتي .. دائما معي عندما أكون في أزمة .. لازم أعمل حاجة .. لابد أن الحق بفتحي قبل ان يسافر إلى الميدان غدا كتب الكتاب .. أمسكت بالخطاب .. قرأت السطور الاخيرة .. لا تنسي ياسعاد موعدنا المعتاد ومكان لقائنا الأول .. ستجديني هناك دائماً في نفس الموعد .. نظرت في ساعتها .. السادسة مساء .. موعد لقائنا انها نائمة الآن .. ساترك لها ورقة لتفهم كل شيء .. سأذهب إلى فتحي .. سأخرج من دائرة الانحناء .. خرجت مسرعة ... خطواتها ثابتة .. رأسها مرفوع إلى أعلى .. لا تنظر .. خلفها ...



وداع

رقيقة ... رشيقة ... جميلة ... عيناها سوداوان ترفان ... تبحثان عن شيء مخبأ وراء ستر المجهول ... فيهما بريق يستصرخك لانقاذ صاحبته من خطر يتهددها .. قلت:

ـ عيناك بحر فيه يتوه أمهر الغواصين عندما يحاول اكتشاف اسرارك ..

قالت مبتسمة مستنكرة في رضى:

ـ انت تبالغ .. احترس في حديثك.

ـ لم أتعود في حياتي الاحتراس والحذر .. أنا سفينة بلا شراع في هذا البحر الزاخر .. تتلاطمها أمواجه .. الليل .. والوحدة .. والملل ..

قالت:

ـ ولكن القلب اختارك.

ـ انت جرىء

ـ قصدك تعديت الحدود التي بيني وبينك.

ـ ليس بالضبط.

ـ اعذريني .. قدماي ادماهما الشوك في دربك الطويل ... وأنت تعلمين .. السهر اجهد عيني .. الهجر أضنى قلبي ..

قالت :

ـ أفلاطون حضرتك .

ـ منذ رأيتك .. الماضي طويت صفحته .. وهجرت جلسات الصحاب والاخريات .

ـ محال .. أنت تعلم أني متزوجة .

قلت :

ـ في لحظة واهمة ساقوك إلى رجل غريب عنك .. لم تريه أبداً .. وقالوا هذا قدرك .. فاستسلمت لهذا القدر ...

ـ أرجوك لا تجترىء على زوجي .

ـ تحبينه ؟

ـ أحمل أسمه .

ـ ومعاملته ؟

ـ سيئة .

ـ ماذا يرغمك على القيد ؟

ـ النسمة المارة بيننا تؤجج نار الشوق لن تطفئها مياه البحار .

قالت :

ـ الابتسامات

ـ ولا الابتسامات .

ـ أنت طماع .

ـ في الحب فقط ... أنا شاعر .. صناعتي صوغ الأحلام ..

أسكب كلماتي الميتة على الاوراق .. أعانق النجوم المشبوحة مثلي طوال الليل على صدر المساء .. خواء خواء .. حديث النجوم والقمر .. خواء .. خواء .. حديث كل البشر .. نفاق .. رياء الابتسامات المرسومة على الوجوه .

- وهل أنا احلم .

- انت واقعي الجميل الذي أعيشه بكل كياني .. ينقلني من أتون العالم المصطرع الكل يفترس الكل .. كلنا سمك .. يتغذى الكبير بالصغير في البحر الكبير . في كل يوم ضحية مذبوحة على صفحات الصحف نشيعها بالابتسامات . ثم نلقى بالصحيفة .. أريد ان أنقذك قبل ان تتحولي إلى حروف في صحيفة .

- لا فرق بين أن أكون حروفا في قصيدتك أو حروفا في صحيفة .

- انت قصيدة لم تكتب بعد .

- انقاذك ابقى من القيد الثقيل عليك .

- انه زوجي .

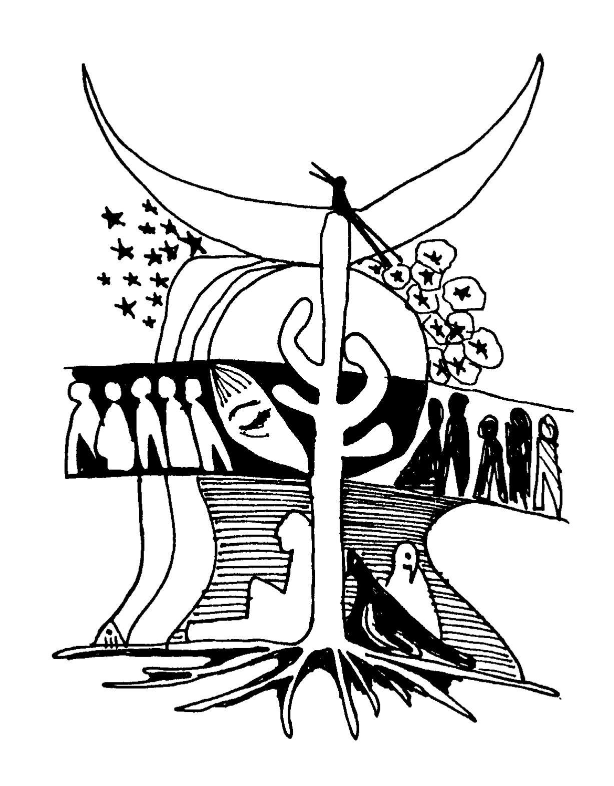
- حتى وهو يعذبك ..

- قدري اتحمله .. صحيح هو يؤذيني .. الكلمة الحلوة يضن بها علي .. اللمسة الحانية يحرمني منها .. انسان غريب عني .. ولكن بيننا قدر ..

- أنا فارسك .. مخلصك ..

ـ لا أستطيع .. كل شيء بأوان .
ـ أكره الانتظار ..
ـ مكتوب ...
ـ والحرمان .
ـ مكتوب ايضا ..
ـ من أجل مـن تقتليـن نفسـك معـه؟ لا تبخلـي علـى بالاجابة ..
ـ أشياء لاتفهمها .. أنه في حاجة لي .
ـ وأنا أيضا في حاجة اليك .
ـ وهو يحتاج لي اكثر .. انه عاجز .
ـ عذاب .. عذاب .
ـ الفراش يقترب من المصباح المشتعل منتحرا .
ـ الفراش لا يعرف
ـ وهذا هو الفرق بين الانسان وبين بقية المخلوقات .
ـ في بئر الحرمان أغوص .. في بحار الحب أغتسل .. إلى ليلى سأعود .. إلى النجوم المشبوحة .. إلى القمر الوسنان سأعود .. منتظراً .. مع ذكرياتي .. أحضن طيفك .. أصبحت شيئاً آخر .. إلى قلمـي سـأعـود ارسـم صـورتـك .. أكتـب قصتك .. انتظر مقدمك .. فقد تكسرين القيد يوما ما ..

في بطن عربة القطار غابت .. لوحـت لهـا بـالمنـديـل .. وغاب القطار في كهف الافق مع اشعة الشمس الغاربة ...



الهدية

الساعة الثامنة صباحاً .. لم تخرج هناء من حجرتها في موعدها كالمعتاد لتذهب إلى المدرسة .. طرقات متتابعة مفزعة على الباب .. قامت هناء .. فتحت الباب ..

ـ انت مش رايحة المدرسة النهاردة ؟

ـ لأ ..

ـ ليه ..؟

ـ تعبانة شوية .. والنهاردة فيه حفلة في المدرسة لعيد الام .

ـ يا للا تعالي خلصي شغل البيت .. فيه شوية غسيل و ... و ...

ـ عندي مذاكرة .

ـ المذاكرة بعدين .. بعد ما تخلصي الحاجات اللي قلتها لك .

استدارت سعدية مقطبة الوجه مهمهمة .. دلع بنات .. مدارس ايه .. ما تقعد في البيت أحسن تساعد في شغل البيت .

أغلقت هناء الباب .. هامسة .. طيب يامرات أبويا ..

أمرك مطاع ..

استلقت على السرير باكية .. نادبة حظها بعد موت أمها .. لقد فقدت نبع الحنان .. وعمق هذا الاحساس انشغال والدها في عمله .. وترك رعايتها إلى زوجته الثانية التي تعاملها معاملة سيئة .. تعاملها كخادمة .. هناء لا تشكو .. عرفت أنه لا فائدة من الشكوى .. جربتها مرارا ولم ينصفها والدها في كثير من الحالات .. دائما في صفها ..

قامت هناء .. اتجهت نحو الدولاب .. أخرجت منه علبة صفيح صغيرة ... فتحتها وأخرجت صورة صغيرة ... قبلتها .. ضمتها إلى صدرها .. أمطرتها بالقبلات .. بللتها بدموعها .. شايفة يا ماما العذاب اللي أنا فيه .. محدش مهتم بي .. أعيش وحيدة .. بابا مشغول في الدكان .. ومرات أبويا كل يوم تنكد علي .. مش عايزاني أروح المدرسة .. عايزاني أقعد أخدمها .. لكن .. ياماما فاكرة كلامك .. عايزاك تدخلي الجامعة وتبقى دكتورة .. مش ناسية الكلمتين دول .. علشان كدة صابرة .. ومستحملة العذاب النهاردة عيدك .. عيد الام .. كل سنة وانت طيبة .. كل بنت النهاردة حاتقدم هدية لأمها .. وأنا مش قادرة .. لأنك بعيدة عني .. فاكرة ياماما .. الفستان اللي قدمته لك هدية .. انت محتفظة بيه .. كل هدية صغيرة مني محتفظة بيها ..

تقوم هناء إلى الدولاب وتأخذ الفستان الذي أهدته

لوالدتها .. تدفن وجهها فيه .. تشم رائحته .. رائحة امها .. تقبله .. تخلع فستانها .. تلبس الفستان .. تنظر في المرآة .. مبسوطة ياماما .. على قدي .. طبعا .. هو أنا صغيرة .. في ثانية ثانوي .. فاكرة لما كانوا يقولو اني زيك .. شبهك .. هدومك تلبسني .. أنا شبهك في كل حاجة .. طولي .. صوتي .. شكلي .. بابا دايما يقوللي لما يزعل مني .. أنت زي امك .. سبتيني وحيدة .. محدش مهتم بي .. لكن باستحمل علشان أحقق أمنيتك .. أدخل الجامعة .. وأكون دكتورة زي ما قلت يا ماما .. أقدم هدية .. لازم أقدم لك هدية ..

فكرة .. خرجت هناء من حجرتها مسرعة متجهة إلى الباب الخارجي .. رأتها زوجة أبيها .. نادت عليها .. وقفت .. نظرت اليها وقالت:

- رايحة عند واحدة صاحبتي وجاية على طول ..

رفضت .. هددتها اذا لم تطع أوامرها .. لم تجب هناء .. خرجت .. أغلقت الباب ... قطعت الطريق إلى المقابر .. اقتربت من المقابر .. بائعو الورد كثيرون .. اشترت وردة .. سارت وسط المقابر .. تعرف الطريق إلى قبر أمها .. لا تتوه عنه .. اقتربت منه .. وضعت الوردة على القبر وهمست .. كل سنة وأنت طيبة ياماما .. وتنهدت في ارتياح وفي عينيها دموع ...

الفهرس

(المؤلف)

- مدير تحرير مجلة الثقافة القاهرية .
- مدير تحرير مجلة الثقافة الأسبوعية القاهرية .
- عضو اتحاد الكتاب بمصر - عضو بمجلس إدارة الاتحاد فترتين متتاليتين .
- عضو جمعية الأدباء .
- عضو رابطة الأدب الحديث .
- مؤسس جمعية زهراء حلوان الأدبية بحلوان - القاهرة .

كتب للمؤلف :

★ نقد تطبيقي : دراسات في الشعر والقصة القصيرة والرواية .

★ هدم اللغة العربية .. لماذا ؟

★ نظرات نقدية في القصة القصيرة والرواية .

مطابع البيان التجارية ت: ٤٤٤٤٠٠ ص.ب: ٢٧١٠ دبي